الرّاوي

الجزء الخامس من السنة الثانية

١ نيسان ✻ افريل ✻ سنة ١٨٩٠ ✻ الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٠٧

فجر الحرية في الديار العربية

يا بني عمنا سلاماً فإنّا قد وردنا مناهل الحرّيه
وغدونا اهلاً لان نتكنى بجميل المعانيَ العربيه
وسلاماً يا ايها الفجر انا قد رأيناك تبعث الذريه
انت نورٌ فاقبس لنا منك ناراً ذات نورٍ يضيء ليل البريه
انت تحيي العظام وهي رميم كيف لا تبعث النفوس الابيه
قد جهلناك ثم عدنا فعد فالـ عود حمد وللعلى اريحيه
مهدك الشرق ايها الفجر فاحفظ عهد مهدٍ وارعَ العهود الوفيه
عد الينا كما نعود وندعو لا تخيب آمالنا الشرقيه

نحن قوم لم نرعَ قدر المعالي فارتدينا الهوان والسخريه
ودعونا عليك جهلاً ولكن قد ندمنـا الندامة الكسعيه
فاجرنا ممـا جنيناه واذكر جيرة قد مضت وكانت هنيه
يا لقومي لقد تألق في الشر ق هلال باحرف ذهبيه
فأميطوا عنهـا اللثام ونادوا ايهـا الناس غيرة وطنيه
واستنيروا بنور فجر جديد لا تظنوا انواره سريـه
فهو بادٍ دون الحجاب فمدوا الط رفَ تلقوا اشعة شفقيه
هي بشرى لكم بانوار مجد دونهن المطالع الشمسيه
يا لقومي فينا المنادي ينادي فافيقوا لنجنيَ الامنيـه
رنَّ في مصر صوته حين نادى فافاقت على الصدى سوريه
فالامَ نلهو ونغفل عنهُ ولنـا منهُ كل يوم عطيه
أولسنا العرب الكرام الاولى قا دوا جميع الشعوب للمدنيـه
وتسامى بفضلهم كل فضل وتعالى بعزهم والمزيـه
من اقاموا للمجد صرحاً مشيداً فوق كسرى والدولة القيصريه
نهضوا فامتطوا متون المعالي حين ملّوا امتطاء متن المطيه
فهم القوم من يحدث ومن يسـ كت فآثارهم لدينـا جليه
تلك آثارهم تدل عليهم من حسامية ومن قلميه
فاتبعوهم في اثر كل يراعٍ وأعيدوا المعالم العلميه
فبخط اليراع ادراك مـا تعـ جز عنه العوالي الخطيه
وخذوا كتبهم كتائب نجح فتحها في السطور لا المشرفيه

فبها تبلغون ما تتمنو ن من الارتقاء والحريه
واجعلوا بدءكم مطالع سعي تقتفيها الخواتم العنبريه

في كل وادٍ اثر من ثعلبة

﴿ مساوية الرجل ﴾

يذكر القراء ان الحرب قامت على قدم وساق بين كتاب الدنيا وعلمائها وفلاسفتها على شأن المرأة ومقامها في المجتمع الانساني وفي هل تساوي الرجل ام لا وما شابه ذلك من ضروب المباحث التي اقتضى لها من المؤلفات ما شحن المكاتب وملأ الخزائن · ولقد وقفت على مؤلف للكاتب البليغ اميل دي جيراردن عنوانهُ "مساوية الرجل" نشرهُ ردًّا على المؤلف الشهير اسكندر بن اسكندر دوماس الذي اصلاهُ في امر المرأة حربًا عوانًا فوجدت فيهِ من ضروب الفلسفة واساليب الحكمة ما لا بأس من ايرادهِ فاقتطفت منهُ نبذًا تصرفت في تعريبها بحسب ما اقتضاه المقام وسمحت بهِ ظروف الاحوال وانا انقلها الى القرّاء تفكهة وعبرة قال :

وما المرأة ! · · انهُ يكفينا في تعريفها ان نقول انها الام والاخت والابنة والحليلة واننا اذا كنا ذوي حياة أفليس ان حياتنا من عندها · وان كنا نفكر أفليس بواسطتها · وان كنا نتخلص في ايام الصغر من كل اخطار الموت التي تحدق بنا فنصير رجالاً ذوي لب وذكاء ومعرفة واحساس أفليس كل ذلك راجعًا اليها

ثم قال في موضع آخر يخاطب مناظرهُ : فانا اهنئك ايها العزيز دوماس بانك ارتضيت بان تكون من صف الذين يعتقدون بان اليوم الذي تصير فيهِ المرأة مساوية للرجل مساواة شرعية لهو يوم عظيم للانسانية والحضارة والمدنية وحينئذٍ يسري التقدم في مجراه الطبيعي ويسرع النجاح البطيء . حينئذٍ تحل عقدة المشاكل كالبحث عن الابوية والطلاق وما شاكلهما التي ظنت هيأة الاجتماع ان لا حل لها لما مر عليها من السنين والاعوام . حينئذٍ يقل الفساد اذا لم نقل يزول . حينئذٍ يزول الخلاف الواقع بين القائلين بالبحث عن الابوية والمعارضين في ذلك . حينئذٍ لا تعود رتبتان للبنين شرعيين وغير شرعيين كما كان الناس فريقين فريق مستقل يعرف بالاحرار وفريق مستخدم يوصف بالارقاء وكان الاحرار يتملكونهم كالاشياء ويبيعونهم بيع المواشي ويعاملونهم معاملة اقسى واشد . حينئذٍ يصير الجميع سواء لدى الشريعة فتصبح الاولاد سواء لدى الام . حينئذٍ يعود على المرأة كل المسئولية من حيث تربية البنين وصحتهم وتهذيبهم وترويض اخلاقهم . حينئذٍ يتغير مجرى الامور فتقوم الأُمومة مقام الابوة . حينئذٍ يتناقص عدد العقيمات ويتكاثر عدد النساء المخصبات . حينئذٍ يصبح الفساد كلمة لا معنى لها وحينئذٍ يندك عرش الشك ويحقق علم اليقين

وقال بعد ذلك . اما الفساد فهو في عرف الناس طرًا ان تبيع المرأة نفسها فقل لي بالله ما تفعل الفتاة التي تقترن بفتى لا تحبهُ ولا تميل اليهِ ولكنها ترضى بهِ اما طاعة لوالديها او رغبة في مالهِ او مقامهِ . أليس انها تكون قد باعت نفسها اليهِ . ثم ما يفعل الشاب الذي يتزوج بفتاة لا اثر لحبها في

قلبهِ او بارملة او بامرأة مسنة غير ناظر الاَّ الى المهر . أفليس انهُ يبيع نفسهُ طمعًا بالمال . فاي فرقٍ بين ما ذكرناه عن الفتاة والشاب وما نعيّر بهِ النساء المتهتكات من بنات الهوى . واي اسم نطلقهُ على مثل هذا القران اذا حدث ان احد الزوجين نفر من الآخر فمقتهُ ومال عنهُ . فالفساد اذن على ما هو في عرف الناس ومهما كان ساقط المقام سيء السمعة لافضل من الزواج على الصورة التي مر ذكرها فانهُ على الاقل يترك للمرأة حريتها ويدع لها حق التصرف بذاتها . واذا اضطرها الفقر والشقاء الى فقدها فانها لا تفقدها فقدًا دائمًا ولا يكون لاحد من الرجال حق عليها الاَّ بمقدار ما تريد . فينتج من ذلك ان حظ اكثر بنات الهوى اقل سوءًا واوفى حالاً من حظ كثيرات من المتزوجات .

ثم قال في موضع آخر : أوليس الشاب العزب الذي يتعشق امرأة رجل يمدّ اليهِ يد الموالاة ويصافحهُ مصافحة الصديق ادنى شرفًا واحط ذمة وحرمة من الذي يتخذ لهُ وهو في انتظار الفتاة اللائقة بان تحمل اسمهُ احدى اللواتي اسميهنّ لا بالمحظيات كما كانوا يدعونهنّ في العهد القديم ولا ببنات الهوى كما يسمونهنّ اليوم بل بنساء الانتظار . ثم قل لي يارعاك الله ايهما اكثر فضيلة او اقل عارًا من الاخرى أأمرأة الانتظار التي لا تخون احدًا لانها لا تحمل اسم احد ولا هي مضطرة لان تقدم عن اعمالها حسابًا لاحدٍ ام الزوجة التي تسمونها بالمرأة الشرعية ولها تحت الحجاب عاشق يخشى ان يكون لها منهُ اولاد وبنون

وفي موضع آخر من هذا الكتاب النفيس : فكم كان في الزمن الماضي

عقبات ومسالك وعرة اخرت سير النجاح وكانت حائلاً دون التقدم والارتقاء فزالت باعتناق مذهب او اتباع رأي . وكم من العقبات والموانع ستزول في المستقبل ايضاً على هذا النحو . ولعمري ان من لا يرى بان الهيئة الاجتماعية تخلع الرداء القديم لهو الاعمى الذي لا يبصر . وكذلك من لا يرى انها لا يمكنها خطر ان تبقى ساكنة غير متقدمة الى الامام

وكيف تبقى ساكنة والعلوم والمعارف تغير في كل يوم وبدون نهاية حالتها الحاضرة . كيف تبقى ساكنة والعالم الجديد عالم كريستوف كولومبوس غير منفصل عن العالم القديم الاَّ بمسافة بضعة ايام . كيف تبقى ساكنة والبلاد تتدانى ماديًا والرجال تتقارب ادبيًا . كيف تبقى ساكنة وقد اصبح الغني والفقير في منزلة واحدة تجاه الاعمال يقلهما قطار واحد وتنقلهما سفينة واحدة بالسرعة نفسها . كيف تبقى ساكنة وابناؤها يجهدون في الارتقاء بمقدار ما كان ابناء الزمن الماضي يجهدون في ان لا يسقطون . كيف تبقى ساكنة وقد صار معظم القوّاد من الطبقة الوسطى والنبلاء المستبدون ينظرون خاسرين كيف تبقى ساكنة وقد صار الامر في يد الشعب ولا رأي الاَّ ما يراهُ بل كيف تبقى ساكنة ونحن نرى المرأة في البلاد المتمدنة سائرة امام الجميع تنادي بالحرية وتطالب مساواتها بالرجل

ثم قال في موضع آخر : الشعب من تريد المرأة ان يكون فانها بالعلم الذي تتلقاه ولو بعد حين وبتربيتها للفتاة منذ المهد تفتح للعوائد والاخلاق الجديدة باباً رحباً . والرعاع الجهلة من كل قوم يتناقصون في كل يوم . ولقد اصبح عددهم اقل كثيرًا مما كان في بدء هذا القرن حين كان كثيرون

يجهلون القراءة رجالاً ونساء فالذي تحسن بنا ملاحظتهُ اذن انما هو المرأة السائرة في سلم الارتقاء المتممة قتل الهيئة الاجتماعية القديمة لتحيي بموتها مجتمعاً جديدًا والتي تسترد بهمتها وسعيها المنزلة التي اغتصبها منها الرجل فانزلها عنها ظلماً واعتداء

هذا وانني اقف عند هذا الحد من هذا الكتاب المفيد وساعود الى اقتطاف ما يهم منهُ في العدد الآتي كي لا تفوت قراءك فائدة من هذا القبيل

﴿ كتب اللغة ﴾

رأيت بعض الكتّاب في مناظرة يشحذون لها الاذهان ويعدّون القراطيس والاقلام ويقضون بل يقتلون الاوقات ويأتي كل فريق ببراهين يزعم انها تفنّد حجة مناظرهِ . فمنهم من يقول بترك كتب اللغة على ما هي عليهِ من التعقيد والابهام وفريق يقول بحل عقدتها وازالة العقبات وتسهيل التعليم بوضع تآليف جديدة على اسلوب سهل لا يصعب معهُ تناول اللغة ومعرفتها بجهد قليل . ولكل من الفريقين حجة وبرهان ومثل يريد بها افحام صاحبهِ وحملهُ على الاعتقاد بصحة رأيه والعمل بقولهِ . ولقد وقفت على هذه المناظرة فساءني انهُ لا يزال بين العرب من يعتقد بوجوب احترام ما وضعهُ السلف من هذا القبيل وان كان غير وافٍ بالمقصود وسلوك الطريق التي اختطها وان كانت غير موصلة الى الغاية او توصل اليها ولكن بشق الانفس . افلا يعلم المتمسكون بالتقاليد ان لكل زمان حاجة وان اللغة يجب ان تتقدم وتنمو وتحتمل التغيير والتبديل والزيادة والحذف والاصلاح بحسب تقدم الشعب ونموّه واختلاف نظرهِ وزيادة معداتهِ واكتشافاتهِ .

ولماذا يريدون ان تقضي السنين والاعوام في طلب قواعد النحو على ابن مالك وابن عقيل او سواهما من واضعي هذا العلم في بداوتهِ على حين يمكننا ان نقرأهُ على ابن اليازجي وغيرهِ من مؤلفي العصر الجديد في ربع المدة التي نضطر اليها لقراءتهِ في كتب الاولين

وما عدا ذلك أفليس ان العلم مع بساطة العبارة وسهولة القاعدة ارسخ في الذهن واثبت في الذاكرة منهُ على صعوبة الوضع ووعورة المسلك. اجل ولقد ظهر ذلك بالامتحان فلا حاجة الى اقامة الدليل والبرهان. فنحن نرى لكل بلادٍ متمدنة مجامع علمية من شأنها النظر الى حال لغة البلاد واصلاحها بما تقتضيه الظروف وتطبيقها على حالة العصر ووضع المسميات لما جد من المخترعات والمكتشفات "والبحث عن الطرق التي تسهل مناولة اللغة" وتسعى هذه المجامع ايضاً في وضع قواعد اللغة وضعاً من ابسط ما كان حتى انهُ ليسهل فهمها على المبتدىء الصغير

ومما يكدر ان ليس من بلاد اشرق فيها نور التمدن الاَّ ونشرت فيها راية الجمعيات العلمية على النحو الذي ذكرناهُ الاَّ البلاد العربية فانها حرمت وحدها فائدة الاصلاح حتى صارت في موءخرة اللغات وافقرها واحوجها الى المسميات الجديدة والتعبيرات العلمية بعد ان كانت في مقدمتها ومن اغناها وارقاها ولولا ذلك لما وُجد بيننا من يقول ان مس كتب اللغة وتحويرها حرامٌ

هذا ونعلم كلنا ان اللغة انما هي وسيلة التعبير عن الفكر وابداء ما يخالج الضمير بحيث ان السامع والقارىء يفهمان ما نقولهُ ونكتبهُ ويفقهان ما نريد

تأديتهُ من المعنى · وان عصرنا عصر العلم والصناعة والفنون فاذا قضينا معظم العمر في طلب اللغة وقواعدها فمن اين لنا ان نتلقى العلوم والمعارف والفنون التي كانت للبلاد الغربية سبباً للتقدم والنجاح ووسيلة للثروة والفلاح · نعم انني لا انكر وجوب تأدية المعنى المراد والتعبير عن الفكر بعبارات تنطبق على قواعد اللغة وتوافق اوضاعها وذلك غير ممتنع علينا مع اصلاح اللغة وتسهيلها بل هو معهُ اقرب وادني

فينتج من ذلك ان اصلاح اللغة وتحويرها وتسهيلها ووضع الكتب التي من شأنها ان تسهل فهمها على المبتدئين واجب لا مندوحة عنهُ · واننا اذا اهملناهُ او قصرنا فيهِ نعدّ مقصرين نحو فرض هو من اهم الفروض الوطنية واقدسها الا وهو خدمة اللغة

﴿السوريون في مصر﴾

لو لم اكن امام مجلة أدبية لاطلقت لساني بالتنديد والملام غير خائف في الحق لومة لائم · ولكن الظروف تضطرني للامساك عن التفنيد والاقتصار على تذكير رجال مصر ان المصري والسوري سواء امام السدة العثمانية وسواء تحت الراية العثمانية وكلاهما خاضعان لسلطان واحد عثماني · فلماذا اذن يحسب السوري في مصر غير وطني وسوريا ومصر من املاك الدولة الواحدة ولا فرق بينهما سوى ان الثانية قد حازت على استقلالها النوعي ولكنها لا تزال خاضعة للكلمة لا تحيد عن نص الفرمانات والاوامر · أيحسب المصري اجنبياً اذا استوطن سوريا او سواها من البلاد المحروسة · أيحرم وظيفة هو اهل لها بحجة ان الاستخدام محظور على الاجانب ولا يتم الاَّ لوطنيين

كلا فان اسم وطني يعم المصري والسوري والحجازي والعراقي والتركي والجركسي وكل من خرج من بلادٍ خفق فوقها العلم الهلالي المجيد ·

ثم اذا كان السوري يحسب اجنبيًا فلماذا يجري عليهِ قانون رسم الصنائع (الباطنطه) من بدء هذا العام كما يجري على المصريين انفسهم والامر العالي الصادر يقول بعبارة واضحة ان مضمونهُ يجري من اول هذا العام على الوطنيين فقط اما الاجانب فيجري عليهم من السنة المقبلة · أليس ان في معاملة السوري كالمصري في امر الباطنطه اقرارًا واضحًا بانهُ وطنيٌ يحق لهُ في مصر كل ما يحق لغيرهِ من العثمانيين كالمصريين والاتراك وغيرهم · ام تعدونهُ وطنيًا في حينٍ واجنبيًا في حين آخر · آه ثم آه الى من نرفع شكوانا اذا ظلمنا · أليس الى الحكومة المحلية بناء على اننا تابعون للقانون المحلي ، فماذا يعدّ الذي يأتمر بامر بلاد ويخضع لاحكامها ويطيع قوانينها ويؤدي المكوس كسائر ابنائها · أأجنبيًا · لا ياسادتي بل يعد وطنيًا ويعامل معاملة الوطني

فينتج ممّا تقدم ان معاملة الحكومة للسوريين اللذين حازا قصب السبق في الامتحان الذي أدياه في محافظة الاسكندرية لوظيفة في جمرك بورت سعيد خارجة عن حد الحكمة والعدل وان مضمون المادة الواردة في قانون الاستخدام الناطقة بانهُ لايجوز الاَّ للوطني لا تنطبق على السوريين ولا تجري الاَّ على الاجانب الحقيقيين فان السوري كما قدمنا وطني في مصر كما ان المصري وطنيٌ في سوريا وغيرها من بلاد الدولة العلية · ولكن اذا كانت الاحوال قد انقلبت وصار السوري يعدُّ في مصر اجنبيًا والانكليزي وطنيًا فان الامر حينئذٍ لله ولا حول ولا قوة الاَّ بالله

﴿ خطرات افكار ﴾

اذا قلت الحق ونطقت بالصدق فلا تخشَ الناس ولا تخف العقبى فان الحق يعرف ذويه فلا يتخلى عنهم

خير الناس من اذا نطق لم يرد غرضًا واذا نصح لم يقصد غاية ولا اربًا

من اهان نفسه حبًا بوطنه فقد شرفها

من مات في الدفاع عن الحق فهو حيٌّ الى الابد

قال بعضهم الامَ نصبر على الذل ونرضى بالخضوع دون العز والاستقلال فاجابهُ الفيلسوف الى ان تصير رجالنا افرادًا ونساؤنا رجالاً

اشار البعض بقتل الخائن شنقًا وآخرون حرقًا وقال غيرهم بل يربط الى ذنب فرسٍ جموح ويطلق في المسالك الوعرة فيرض عظامهُ وينثر لحومهُ اما انا فاقول انهُ يكفي لعقابهِ ان تُوصف لهُ الخيانة ويمثل الغدر فان لهُ من ضميرهِ سيفًا يقطع نفسهُ وضمير الخائن الغادر لا يغفل ولا يسكن

متى انتشر العلم الصحيح في امةٍ مستعبدة وانبث فيها روح المعرفة كانت جديرة بان تثور على مستعبديها وتعيد الحرية والاستقلال الى ربوعها

اذا تمت للامة معدات الاستقلال ولم تستقل كانت خليقة بموقف العبودية اهلاً للرق والاستعباد

ان الاتحاد والثبات طريق الى الاعمال العظيمة ومعراج الى الفخر والمجد

من رأى العبرة في جواره ولم يعتبر قِيس بالبهائم التي لا عقل لها وشبّه بها

اذا لم تتشبه الامة المستعبدة بامة أُخرى كانت معها في القيد فأُطلق

سراحها لانها قامت مضحية نفسها في سبيل حريتها ومجاهدة في رفع كلمتها كانت وبالأَعلى نفسها ومجلبة لدمارها واندثارها

سأل رجل رجلاً اخر فقال الى من ارفع شكواي اذا ظلمت قال الى الحاكم قال ولو كان حاكمي ظالمي قال نعم قال فان لم ينصفني قال اذن فاشهر في وجههِ سيف العدوان وثر عليهِ وثلّ عرشهُ او تموت شهيدًا

تكلم ربيعة الرأي يومًا فاكثر فكأَن العجب داخلهُ وكان الى جنبه اعرابي فاقبل عليهِ وقال لهُ ما تعدون البلاغة يا اعرابي قال حذف الكلام وايجاز الصواب قال فما تعدون العيّ. قال ما كنت فيهِ اليوم. فكأنما القمهُ حجرًا.

وهذا مثل اوجههُ الى بعض القوم بيننا الذين يلغطون ويكثرون الصياح فيخال لهم انهم يأتون امرًا عظيمًا ونصرًا مبينًا وما هم في واقع الامر الاَّ في ذلة وعيّ وانكسار ...

اشعار ولطائف

اعتلّ عاشق لجور الحبيب فعاده شفقة وقال لهُ كيف حالك فقال

انا في عافية م الاَّ من الشوق اليكا
ايها العائد ما بي منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسماً وعد قلـ ـباً رهينًا في يديكا
كيف لا يهلك مرشو قٌ بسهمي مقلتيكا

وانشد بعضهم وقد اخذ هذا المعنى من الحديث: ان الله جميل يحب الجمال

خلقت الملاح لنا فتنةً وقلت لنا يا عبادي اتقون
وانت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

ويحكي ان رجلاً مات عن امرأة وكانت فصيحة مليحة محبة لهُ فحزنت عليهِ وبكتهُ وانشدت فيهِ المراثي · وبينما كانت تمشي يومًا في بستان ابيها اذ ذكرت زوجها فبكت وانشأت تقول

انما ابكي لالفٍ خانهُ الدهر فماتا
قلت للدهر بحزن ايها الدهر اساتا
لم تركت الاب والا خ وبالزوج بداتا

ثم التفتت فاذا بابيها واخيها خلفها فسمعا ما قالت فقالا لها ما هذا الذي تقولين فقالت لما رأيت شجرة الخوخ جفت قلت :

انما ابكي لخوج خانهُ الدهر فماتا
قلت للدهر بحزن ايها الدهر اساتا
لم تركت الزرع والا كرم وبالخوخ بداتا

فتعجبا من فصاحتها ووهبا لها البستان

قيل ان الدهر انقلب على ابن نعمةٍ فسأت حالهُ وضاقت يده والتمس الرزق فلم يجده ولم يكن في جيبهِ الاّ درهم واحد فاشترى بهِ ترمسًا يسد بهِ الرمق وانعطف الى نافذة غرفتهِ ينظر ويفكر بما كان فيهِ وما آل اليهِ وياكل حبات الترمس ويترك قشرها يتساقط الى الارض وهو ساهٍ غافل ولبث على ذلك حتى فرغ ما كان معهُ من الترمس فسمع تحت النافذة قائلاً يقول : الحمد لله على ما اولانا فاشبعنا · فالتفت فاذا برجل ينظر الى

السماء ويترنم بشكر الله وحمده فناداه يا هذا لمَ الشكر الطويل العريض ·
قال منّ الله عليّ بالعشاء فشكرًا لهُ قال وما كان عشاؤك · قال انت
تغذيت بلب الترمس والقيت القشور فكنت كلما سقطت قشرة التقطتها
فالتقمتها فانا احمد الله على ما قسمهُ لي واقنع بما قضاهُ قال رُح لا بورك
فيك انت الذي تطمع الله بنا

هذا واني اكتفي الان بما اوردتهُ فان المقام حرج والوقت ضيق
فموعدنا الشهر الاتي وان غدًا لناظرهِ قريب

﴿ آثار علميه ﴾

مجلة الشفاء — هي المجلة الطبية التي صار ذكرها يغني عن وصفها · وكانت قد احتجبت عنا مدة فحرمنا فوائدها وبتنا ندعو لها حتى استجاب الله دعاءنا فعادت والعود احمد ترفل بحلة الطب وتمنّ على مطالعيها بمضمون اسمها فحمدنا الله على عودتها وشكرنا · وكيف لا يبتهج طلاب العلم بعود هذه المجلة الى الظهور وموشي حبرها العالم الموصوف والطبيب النطاسي المعروف صديق الفضلاء ورفيق العلماء الدكتور شبلي شميل · فلا غرو اذا قابلها الجم الغفير باصوات الترحيب بعد ما اشتهر عن الاسرة الشميلية الكريمة من خدمة العلم والوطن واجتهادهم ببث المعارف وتعميم الفوائد · ولقد ظهر منها الى الان جزءآن من سنتها الجديدة واليوم ميعاد الجزء الثالث ونحن على ثقة من انهُ سيكون كصنويهِ السابقين مشحونًا بالفوائد طافحًا بالمنافع · اما ادارة الشفاء فقد عهد بها الى حضرة صديقنا الاديب الفاضل جرجي افندي زيدان · فنحن نتمنى لهذه الخدمة الوطنية نجاحًا تامًا وفلاحًا عامًا بمن الله وكرمهِ ·

﴿ آثار ادبيه ﴾

ديوان الفكاهة — يسرنا ان نبشر محبي المطالعة وطلاب الادب ان جناب الاديب الذكي اسكندر افندي طاسو مدير مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت قد اعاد اصدار

هذا الكتاب على ما كان عليهِ من الاتقان وحسن اختيار الروايات ولا يجهل القرَّاء ان ديوان الفكاهة مجموع تواريخ وروايات ادبية يصدر اجزاء شهرية بحجم كبير وطبع جميل على حسن انشاء واختيار . اما بدل الاشتراك السنوي لهذا الكتاب فزهيد جدًّا لا يقابل بما يجني منهُ من الفكاهة والفائدة وهو ١٦ فرنكًا فقط . والكتاب يطلب ههنا من جناب صديقنا الالمعي الفاضل نعمان افندي قساطلي ومن ادارة الزاوي . فنحن نحث الادباء على الاقبال عليهِ فانهُ من احسن ما تنقطع بهِ اوقات الفراغ

غادة لبنان — ليس الغرض من ذكر هذه الرواية ان نقرظها بما يحتملهُ المقام فذلك امر سبق للصحف ايراده وانما الغرض ان نظهر ان صاحبها الاديب عبده افندي بدران قد تقدم الينا بان ننتقدها من كل وجوهها نقدًا خاليًا من الغرض والتكلف فاجبناهُ الى ما طلب ولكن حال ضيق المقام دون المرام فوعدنا بهِ العدد الآتي .

حديث ليلي — هو «حدوتة» رواها جناب الاديب مصطفى افندي الجوهري المنشاوي عن حضرة الفاضل الاريب محمد افندي التميمي . ولقد تصفحناها فألفيناها قصة فكاهية ادبية منمقة بالاشعار الرقيقة والمعاني الرشيقة . ولكننا نأخذ على حضرة واضعها نوع تأليفها فهو نوع قد فات وقتهُ وكان حسنًا في ايام الاصمعي والرواة الاولين . فلو وضعها على النسق الجديد الموافق لروح العصر لوجدت في اعين المطالعين حظوة اتمّ وافضل . هذا والذي يطالع الرواية يقرأ فيها الف مرة ومرة : قال الراوي وما قال «الراوي» مما جاء في الرواية شيئًا .... ونحن نثني على فضل واضعها وهمة ناشرها ونحث الادباء على مطالعتها والاخذ بناصر المؤلفين والمعرّبين فان الوطن في حاجة شديدة الى تنبه الهمة

﴿ اثار ادارية ﴾

البريد المصري — الاصلاح عنوان حسن الادارة ومعراج الى النجاح والكمال . ولقد شهدنا الاصلاح في البوسطة المصرية والجأ ابوابهُ الرحبة منذ تبوأ ادارتها حضرة وطنينا الفاضل النزيه سعادتلو يوسف باشا سابا الذي ما فتىء منذ ولي الادارة يجهد ويسعى في سبيل اصلاحها حتى ضاهت بهمتهِ التي لا تفتر احسن بُرُد الدنيا نظامًا ودقةً . ولما كان الشاهد اعظم برهان على القول نثبت لسعادتهِ ما علمناهُ من آخر وسائل الاصلاح وهو انهُ توصل بجدّهِ وحزمهِ من جمل الادارة وسيطًا بين اصحاب الصحف والمجلات في قبول

الاشتراكات واستيفاء البدل في داخلية القطر وفي البلاد الاجنبية على شروط معلومة وإيضاح بيّن كما هو مذكور في الاعلان الصادر من لدن الادارة ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل والفائدة وحسن النظام فلذلك نحن نهتف بلسان العموم شاكرين لسعادة الوطني الغيور ما يبذله من الرغبة في الاصلاح وندعو له بدوام الترقي والنجاح

اخبار

تهنئة

في اوائل الشهر الفائت قامت الافراح في منزل الوجهاء آل بن لحسين وشماعه احتفالاً بزفاف صديقنا الاديب روفائيل افندي بن لحسين على المدامواز يل استير شماعه وكان زفافًا باهرًا حضره جم غفير من الوجهاء والاعيان وفي مقدمتهم سعادتلو عثمان باشا عرفي محافظ الثغر وجناب قنصل انكلترا وغيرهما من الذوات والاعيان . فنحن نتقدم الى صديقنا بالتهاني الخالصة راجين ان يكون زفافهُ مقدمة سعدٍ وهناء ومقرونا بالرفاه والرفاء ان شاء الله

امنيّة

اشاعوا وياحبذا الاشاعة أن بعض الشبان الادباء تألفوا في مصر وعقدوا الخناصر على تأليف جمعية علمية عربية همّها النظر الى اللغة وما يجب ادخالهُ فيها من الاصلاح حتى تصير في صف اللغات العصريّة ولقد شملنا الفرح عندما وردنا هذا النبأ ولكنهُ لم يطل لعلمنا بما سيعترض سير هولاء الجماعة من المصاعب والعقبات اذا لم تأخذ الحكومة بيدهم فيحبط مسعاهم

والعياذ بالله · على ان ما نراه من همة وزارة المعارف في نشر العلوم وعضد اللغة يحدو بنا الى تعليق الرجاء بتحقيق تلك الامنية التي يتوق اليها قلب كل وطني حقق الله الآمال

آثار

وُجد حديثًا في مقاطعة قسطنطين من بلاد الجزائر في ارض كثيرة الحصى بين جدران قديمة يستدل على انها قائمة منذ الاحتلال الروماني احجار من الفسيفساء عليها رسوم آثار مهمة جدًا منها حجر يظهر من الكتابة المرسومة على احد جوانبهِ انهُ قاعدة لتمثال أُقيم تذكارًا لتيطوس فلافيوس وآخر عليهِ رسوم للالهة القديمة منها رسم يمثل المشتري اله الالهة وعن يمينهِ إبيه الة الصباء تقدم لهُ كأس السلسبيل · وآخر يمثل كوكبة من المحاربين والمحاربات بعدة الجلاد وتتبعهم الجياد كأنهم زاحفون الى الحرب · واكثر هذه القطع من المرمر وهي بالوان مختلفة

برج إيفل في روسيا

مضى زمن والناس لا يذكرون عجائب المعرض ولا بدائعه حتى أذكرنا فريدة عقدهِ ما رأيناه في المجلات الادبية من ان الروس رغبوا في اقامة تذكارٍ للبرج الذي فاق برج بابل فمثلوه ببرج من الجليد من ابدع ما رأتهُ العين واقاموه في حديقة بضواحي بطرسبرج · اما طولهُ فستون مترًا وهو ثلث طبقات وينار ليلاً بالنور الكهربائي وفي داخلهِ سلم من الجليد ايضًا تحمل عشرين شخصًا · وهناك فرش وامتعة من الجليد يقف المرء امامها مبهوتًا حائرًا · فانظر الى ما تصل اليهِ يد الانسان وعظم مدبر الاكوان

حنّة دارك

راعية غنم ولدت عام ١٤٠٩ في دومريمي من اعمال فرنسا وكانت شجاعة لاتهاب الحمام فلما اصطلت نار الحرب بين فرنسا وانكلترا وحاصر الانكليز مقاطعة اورليان تركت حنة عصا الرعاية واستلت حسام النزال فصدمت جيوش الانكليز وصدتهم عن اورليان وخلصت البلاد منهم ونازلتهم في مواقع كثيرة وابلت بلاء حسنًا فشهد لها القواد بالشجاعة والفراسة وهي التي مسحت كارواس السابع في ريمس ملكًا على فرنسا · وبعد جهاد محمود في سبيل الوطن اسرها الانكليز بعد ان أرتهم الموت اشكالاً واذاقتهم العذاب الوانًا فاقتصوا منها قصاصًا مرعبًا تشمئز من ذكره النفوس فانهم علقوها وهي فتاة في ربيع الصباء فوق نارٍ خفيفة حتى قضت نحبها بين العذاب والاوجاع وفارقت نفسها الشريفة جسدها الطاهر الكريم فطارت تشكو جور الانكليز الى من جعل حب الاوطان من الايمان

اما ذكر هذه الفارسة الوطنية فمخلد في بطون التواريخ بحكاية اعماها وفي الملاعب بتمثيل حياتها وعلى قارعة الطرق وفي الاماكن العمومية بتماثيلها وفي الغرف والقاعات بصورها · وكأن ما اقيم لها الى الان لم يكن كافيًا لمكافاتها واحياء ذكرها فقد هبّ جماعة وافتتحوا الاكتتابات فجمعوا الاموال الطائلة وعزموا على صنع تمثال جديد لهذه الفارسة يكون آية في بابهِ · ولعمري ان من كان مثل حنّة دارك ليحق لهُ الاكرام والتعظيم فان من مات حبًا بوطنه حيٌّ الى الابد

ملاعبنا

بلغنا بملء المسرة ان قد تألفت في الثغر جوقة للتمثيل العربي من خيرة الجوقات واقدرها على العمل واكثرها خبرة بفن التمثيل وعلماً بالروايات وعزمت على تأدية ثلث ليال فقط فاختارت لها ثلث روايات بديعة الوضع جميلة الموضوع وهي : رواية شهداء الغرام ورواية الرجاء بعد اليأس لحضرة صديقنا الاديب البارع نجيب افندي الحداد ورواية محاسن الصدف المشهورة بحسن الوقع بين الجمهور . اما ادارة الجوق وتمثيل اهمّ ادوار الروايات فمتعلقان بمنشدنا المشهور الشيخ سلامه حجازي الغني عن الوصف والتعريف . وقد فتح باباً للاشتراك بالليالي الثلثة التي ستكون اولاها في مساء السبت الواقع في الخامس من نيسان (افريل) فلا غروَ ان يقبل الجمهور على اغتنام هذه الفرصة التي لا تضاع

فاجعة

توالت علينا الرزايا وانتابتنا المصائب والبلايا فلقد فجعتنا اخبار باريس عاصمة فرنسا بفقد الطبيب الذكر ريحانة الادباء وزهرة الالباء صديقنا المغفور له المأسوف عليه المرحوم حنا روفائيل عنحوري الدمشقي احد طلبة الطب فيها . اغتالته المنون عن خمسة وعشرين ربيعاً بينما كان مشتغلاً بالمطالعة والدرس فقصفت بموته غصناً في حدائق الادب كان نضيراً . وكسفت للمعرفة والاجتهاد بدراً منيراً . اختطفته في بلاد الغربة بعيداً عن الاهل والخلاّن غير راحمة فؤاد الاقارب ولا ناظرة الى شوق الاخوان . ولقد كان رحمهُ الله رحمةً واسعة ولعاً بخدمة الادب العربي وله من الكتابات والتصانيف ما يشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع . ولقد كنا صبّرنا الله على فقده اذا ما ذكرنا له عملاً اوقرظنا له كتاباً نحنّ اليه ونحد عليه ونرجو ان نراه عائداً الينا باكليل النجاح وتاج الارتقاء والفلاح حتى فجعتنا به الاقدار ولا حول ولا قوة الا بالله . فنحن نتقدم الى آله الكرام بكلمة التعزية ونسأل للفقيد العزيز الرحمة الواسعة والرضوان .

مراسلات

ابواب المجلة مفتوحة لرسائل كتابنا الادباء وصفحاتها معدة لنشر نفثات اقلام شباننا الاذكياء ولكننا ننشر فيها ما يرد الينا كما يأتينا تاركين مسئوليته من كل وجهٍ على صاحبه غير متحملين تبعة شيء من ذلك

كشف الخبايا

بقلم صديقنا الفاضل ابرهيم بن ايوب

(تابع)

الحال فعمدت على تغيير ملابسي واخذت في ان انزعها عني وكان بقاء الورقة في يدي يمنعني عن خلعها فوضعتها على فراشي ريثما انتهي من عملي فلاحت مني التفاتة الى تلك الورقة فرأيتها معنونةً باسمي فمن يقدر ان يتصور مقدار ندمي وللحال انصرف عني بعض ما كنت اجد من عذاب الغيرة ولكني كنت مشتت الحواس لا اقدر ان احكم على ذاتي لان الانفعال الذي سببته لي عوامل تلك الليلة الهائلة كانت تأثيراته امتزجت بتصوري وتمثلت في دمي فاخذت الورقة ونشرتها فاذا فيها

سيدي ابرهيم

لقد اثرت فيَّ كثيرًا مشاهد الامس وساءني ما رأيتهُ منك من سوء الظن بي على حين كنت اعتقد بحسن اخلاصك ومع ما رأيتهُ منك من التهديد واستطلعتهُ فيك من نوايا الانتقام فاني صرفت ليلتي بدون ان يغمض لي جفن ولعلمي بما انت عليهِ من الاستمساك بالشهامة وحب الشرف (على ما نقول) وسرعة تمثل الغضب فيك لم اشا ان اخلع ملابسي وارقد في بيتي بل صرفت ليلتي طائفًا حول منزلك لعلي اتمكن من تخفيف الشر

الذي ربما تختتم فيهِ هذه الليلة المشؤُمة وقد صدق حدسي لاني سمعت صوت طلق البارود والصراخ وكنت واقفًا وراء الباب ونظرت من ثقب المفتاح تلك الفريسة التي حملتها الى داخل الوجار ولم اجسر وقتها ان اطرق عليك الباب لاني خشيت ان يتفاقم الخطب وان دخولي عليك في تلك الساعة لا يجدي نفعًا بعد ان تلطخت يداك بالدماء على اني اراني ملزومًا على فريضة حبي لك ان اعرض نفسي لمساعدتك بدون ان اطلب منك اجرة على ذلك او ان احملك بهذه الخدمة على العدول عن عزمك فيَّ وبما اني اعلم عدم وجود من ترسله لقضاء اشغالك الضرورية كتبت لك هذه الورقة وساكون على الباب بعد ساعة منتظرًا اوامرك وان كبر عليك الاصطباح برآي فاكتب ما تشاء وضع الورقة في ثقب القفل لانفذ ما تأمرني بهِ : امين

فتبين لي من هذه الكتابة وهذا الالتزام في التصريح ان امينًا بعيدٌ عما ظننتهُ فيهِ من الخيانة ولكن لم يتغير ظني عن ان لهُ اطلاعًا على بعض امورٍ جرت او جارية على غير علمي ومع اني كنت في تلك الظروف باحتياجٍ الى من يساعدني على تخفيف كربتي ويحضر لي طبيبًا لعيادة زوجتي المطروحة على فراش الخطر كنت ارى مقدار الصعوبة في طلب مساعدة من صرحت باهانتهِ في وجههِ وكأني اصبحت مقيدًا بعوامل كبريائي وأنفت نفسي التماس الصفح ممن هو قائمٌ في تصورات ارتيابي واجهدت ذاتي لكي اصرف من فكري احتمال وقوع الخيانة من امين فكنت ارتاح عند ما افتكر بمخاطبتهِ اياي وعدم الاحتفال بي وعدم اكتراثهِ بالامر ومحاولة تنصلهِ من التهمة والذي كان يبرئهُ في حكمي هو بكورهُ لمساعدتي ولكن مع كل هذه الملاحظات ما امكني الاعتقاد بعدم اطلاعهِ على اعمال غير موافقة لناموسي او خيانتي وما زلت في عذاب لا يطاق من تضارب هذه الافكار وصعوبة الالتجاء الى حكم اميل بهِ الى جانب الاعتقاد وكانت عيناي مفتوحتين كاعين المتشخين كانهما شاركتاني بالذهول والارتباك حتى جمدتا عن الحركة وبينما انا في هذه الحالة من تشتيت الافكار اذ دقت الساعة الخامسة ونصف فنبهني صوتها الى حلول ميعاد حضور امين فعمدت ان اكتب اليهِ بعدم احتياجي لمساعدتهِ كما اشار بكتابتهِ اليَّ وهكذا انفذت عزمي وكتبت لهُ ما يأتي بدون ان اذكر اسمهُ في صدر الكتاب او ان اضع اسمي (غير محتاج الى مساعدة احد)

ثم طويت الورقة وانحدرت الى الباب الخارجي ولما اخذت في ان اضعها كاشارة

امين في ثقب القفل سمعت وطئ اقدام تدنو من الباب وما تركت الورقة حتى رأيتها تنسحب من الخارج فعلمت ان امينًا حضر واخذها فلبثت واقفًا متواريًا عن ثقب المفتاح حتى سمعت صرير تمزيق الورقة من الخارج واميناً يقول كمن يخاطب رجلاً امامهُ مسكين انت يا صاحبي كم تمزق صدري اوجاعك وتحرق دمي اكدارك . . . ما العمل لخلاص هذا المسكين وخلاصي مما احتملهُ لاجلهِ ثم اخذ في ان يبتعد عن باب المنزل وكنت من هذا التصريح الذي سمعتهُ منهُ علمت اخلاصهُ في مودتي وصغرت نفسي في عيني ووددت لو تنقض صاعقة على راسي وتريحني من عذابي وتشتت افكاري ولم اتمالك ان فتحت الباب وخرجت الى الشارع وكأن امينًا سمع حركة فتح الباب فوقف وادار وجههُ اليَّ ولما رآني خارجًا على تلك الحالة لا يُعرف لباسي ان كان للنوم ام للجولان في المدينة غمز حاجبيه بحركةٍ غير ارادية كالرجل الذي تلسعهُ العقرب ثم دنا مني بهدوءٍ وبطء ولما صار قريبًا قال اثقلت عليك بقدومي في مثل هذه الساعة . . ثم تمتم بما لا افهم وقال سيان عندي هذا الامر واني احب ان أبرَّ في صحبتك هذا النهار ايضًا لانك ربما لا تراني بعد اليوم فلم اجبهُ بشيء سوى انني دخلت الى البيت عن غير قصدٍ وتركت الباب مفتوحًا فلم يتوقف ان دخل ورائي وجذبني من جيب قميصي وقال قل ماذا عملت وما اصابك فلفت بوجهي اليهِ وقلت لهُ بصوت المتهكم اصعد ترَ قال العالك انقدت بشيطان اوهامك فارتكبت اثم القتل قلت حبذا لو تم ذلك ليكون لي من فاتحة الانتقام ما يجرئني على تتابع شفاء غليلي ممن يحتقرونني فلم يجب بشيء سوى انهُ اندفع امامي وصعد السلم الى غرفة زوجتي ولما دخلت وراءهُ نظرتهُ واقفًا بعيدًا عن سريرها يلاحظ حركات تنفسها ويجيل نظره في الغرفة يمينًا وشمالاً ثم قال امصابة بالرصاص قلت بل مصابة بالدهاء والخداع فرأيتهُ قد انفرجت تقطبات وجههِ ودنا من السرير واخذ بيدها وجس نبضها وقال اتريد ان احضر لها الطبيب ونظر اليَّ مستفهماً فما اجبتهُ سوى باشارة من ادلاع شفتي بما يفيد على حدٍ سوا فلم يتوقف ان ذهب وقبل خروجه من باب الغرفة اخرج منديلاً من جيب سترتهِ ليمسح عرقه فسقط منهُ كتاب مختوم وقبل ان اناديه لانبههُ الى الكتاب الساقط منهُ كان انحدر من السلم ركضًا فاخذت الكتاب بيدي لالقيه اليهِ من النافذة المطلة على الحوش السفلي فصادف وقوع نظري على عنوانهُ فوجدتهُ باسم زوجتي . . . نعم باسم كاترين زوجتي فتفرست بذلك العنوان فعلمت انهُ بخط شقيقتها مريم فاخذني العجب كيف يكون

امين رسولاً بين زوجتي وشقيقتها يحمل اليها الرسائل ولا يعلمني بشي من ذلك فعاودتني افكاري وساء ظني بامين فامسكت عن اعطائهِ ذلك الخطاب وانطلقت الى غرفتي ولما خلوت بنفسي ضاقت عليَّ الدنيا ورأيت ذاتي محاطًا باسرار مجهولة وكأني في ظلام دامس لا اهتدي منهُ الى شي وكأن المصائب تتوالى عليَّ تباعًا من بدء تلك الليلة وبدأت ان احتقر نفسي واعرف مقدار جهلي وغروري واغفالي عما كان يجري حولي وانا لاه ٍ عنهُ لا علم لي بشي ورأيت من اللازم ان افحص ما يمكني للوقوف على الاعمال الجارية في بيتي وعمدت ان افض ختام الرسالة الساقطة من امين ولما هممت في ذلك سمعت مشي اقدام تصعد على السلم ونظرت فاذا امين يتبعهُ الطبيب وكان الطبيب من الظرفاء ولي معرفة سابقة بهِ فلما رآني تقدم اليَّ مادًا يده لمصافحتي وكنت منهمكًا في لبس عباتي لاخرج لمقابلتهِ فلما صافحتهُ شد على يدي وهزها فآلمني ذلك جدًّا لان جراحي كانت تؤلمني فلاحظ الطبيب ما بدا مني من اشارات الالم فقال ما بال سيدي يتألم قلت جرح خفيف حدث عن سقطة قال لا بد من ان نتداركه قبل ان يتعاظم ضرره قلت لننظر الان فيما هو اهم من ذلك قال صدقت لان الرجال اقوى احتمالاً من السيدات هلم الى مخدع السيدة اذا شئت فدخلت ودخل الطبيب وامين وقد اخذ الطبيب يدها وجس نبضها وبدا يفحصها بالقرع والضغط وكانت لم تزل على حالتها من الاغماء وارسال التنهدات البعيدة الفترات وبعد ذلك اخذ شمعة متقدة وفتح عينيها ونظر في انسانيها وقال ليس من خطر على السيدة انما هو نوع هيستيريا خفيفة ثم ادار رأسهُ بنوع التعجب وقال لقد اصبح نساؤنا مصابين بالهستيريا وما ذلك الاَّ من زيادة الترف والراحة واللباس الضاغط والمشروبات المتنوعة وتلاوة القصص الغرامية والمعاشرات الفاسدة مما ينبه بعض الحواس وتكون العاقبة وخيمة وكان امين اثناء كلام الطبيب ينظر الى زوجتي بعين الحقد ويتململ من فروغ الصبر ثم قال للطبيب أترى يا حضرة الدكتور من خطر على السيدة اجاب لا خطر مطلقًا قلت هنا مريضة اخرى اذا شئت ان تتكرم بعيادتها فحملق بي امين فقال الطبيب ومن هي قلت الخادمة وما قلتها حتى سمعت امينًا يتمتم سرًّا وقد انقبضت عضلات وجهه وبدت عليهِ اشارات الكدر الزائدة فقال للطبيب هلم لنرى الفصل الثاني من الرواية فحفظت هذا التلميح في سري ودخلنا الغرفة حيث كانت الخادمة ولما شعرت بدخولنا اخذت في الانين والتوجع فناداها الطبيب بقولهِ بماذا تشعرين فوضعت يدها على صدرها وقالت

ينقطع قلبي آه قلبي فلم يتاخر عن ان تقدم اليها واخذ يفحصها ثم قال ليس شي انما هو خداع وقد اكون مخطئاً وبما ان من مبادي التشخيص ان يطلع الطبيب على جميع الاسباب التي تترتب عليها التأثيرات في اجسام الاعلا اطلب من السيد ابرهيم اذا شاء ان ينبئني عن الحوادث التي حصلت قبل وقوع المرض او التمارض لان عوارض السيدة والخادمة تكادان تكون عن مصدرٍ واحدٍ فهمت ان اجاوب غير ان اميناً سبقني وقال الم اقل لك يا حضرة الطبيب ونحن على الطريق ان السيدة مصابة بالصرع وكثيراً ما يلقيها في الفراش اسبوعاً واسبوعين اجاب الطبيب والخادمة قال الخادمة سقطت امس من قاعدة السلم الى الحوش اجاب ولكني لم ارَ فيها اثراً للسقوط ولا رضوضاً ولا جراحاً اجاب لم تكن السقطة من شاهقٍ ومع ذلك فانها لم تُصب بالام ولا جراح والمهم عندنا انما هو امر السيدة قال قلت لكم ان لا خطر عليها الاَّ اذا عاودتها النوبة وانتقل المرض الى غير مركزه وشاركتهُ باقي اعضاء الاحشاء بالتعل السمبانوي ومع ذلك فاني أمر لها بدواء مسكن وساعود لعيادتها في الغد وكتب صفة الدواء ودفع الورقة لامين قلت الا تتكرم بالنظر لجراحي الخفيفة فأجاب او انت ايضاً مريض يالله اني ارى في الامر سرًا تكتمونهُ عني قلت انما هي سقطات ثم دخلنا الى غرفتي وحينئذٍ كشفت لهُ عن جراحي فتفقدها واكبر الوهم عليَّ بخصوصها وشدد بلزوم مداركتها وعلى الخصوص جراح راسي وبينما كان الطبيب يتفحصني كنت ارى اميناً كالمجنون يرفع حاجبيه ويفتح عينيه ويدخل راسهُ بين ايدي الطبيب ليرى جراحي ولا انسى ابدًا تلك النظرات الحنونة وتلك الاعين الجميلة التي كانت شكرى بالدموع ما اثرفيها مصابي ولما انتهى الطبيب من فحصي انتصبت لاعدل لبس قميصي وقد سهى عليَّ امر الخطاب الذي التقطتهُ من امين وكان لم يزل في عبي فلما نفضت قميصي سقط الكتاب الى الارض وما نظره امين الاَّ وانقض عليهِ كالباشق وخطفهُ وقبل ان اعترض عليهِ او استخلصهُ منهُ عض على شفتهِ بما افادني عدم رغبتهِ التكلم بخصوصهِ امام الطبيب

وبعد ان وصف الطبيب الدواء خرج فشيعهُ امين الى الباب وعاد اليَّ فقلت لهُ على سبيل التهكم ان المسألة مهمة يا حضرة الصاحب وتشبه ان تكون من ضروب المعميات والاحاجي لاني لا اعلم كيف يمكني اعتبارك. أصاحبٌ انت فامحضك اخلاصي ام عدو فاجتنبك اجاب كنت اظن (ولا يصعب عليك) بانك اسمى ادراكاً (البقية تأتي)

نصيحة والدة

بقلم الاديبة الفاضلة السيدة سلمى قساطلي في دمشق

(تابع)

مجردًا بل يجب ان يكون مقرونًا بما يشجع لمقاومة التجارب وما يقوي الشعور الداخلي العميق بوجوب اتباع طرق التقوى والاداب الحقة لكي يمكن للمرأة ان تدفع هجمات المضار وتثبت لدى مقاومة المظاهر الخارجية والعوائد السمجة القاتلة للفضائل المستولية على هذا الجيل للنقص الواقع في تهذيب جنسنا وما سيقع نظيره في الاجيال المقبلة بواسطة اعمال من لا يهمهم الاَّ الانتفاع بالاباطيل وزيغ الانسان

واذ وضحت لك نقائص جيلنا بالنسبة لجنسنا . وبان لديك ما يجب ان تكون عليهِ المرأة . والتقصير الواقع في امر العناية بها . صار مجلوًا لديك امر اصابتي بما اقدمهُ لكِ من الارشاد المنطبق على ما ربيتكِ عليهِ

فيا ابنتي . الشابة الراغبة في جعل سلوكها على مبداء مطالب الحق تتنازعها سلطتان اولاها الفضيلة وهي بنت التقوى وثانيتهما العوائد وهي قرينة الاميال المجردة فيجب على الشابة والحالة هذه ان تتشجع وتفتح قلبها للفضيلة وهي تجعل فيها الثبات والثبات يعطيها غلبة وفخرًا ويعلمها كيف يجب ان تكون بحسب مبادئها وحينئذٍ تتأصل بها المبادي الحقة وتأتي باثمارها الشهية فيكون لها راحة داخلية ومجدًا خارجيًا ويبان لها بان السلطة الاخرى ظلم لتابعها واماتة لهُ

ولما كان بالعوائد ما هو لازم للحياة فيجب انتقاه ولكن ليس بسرعة اصدار الحكم عليهِ بل باستعمال الشجاعة وبيان حدود الشيء والغرض منهُ وتقديم البرهان الصحيح على غثهِ وسمينهِ ليمكن الانتقاء المطلوب

ان صوالحنا كثيرة وهي ينبوع سعادتنا ومجدنا فيجب ان نسعى اليها بطرق التهذيب والفضيلة واعتبار حقيقي لمن نتعلق بهم

فيا عزيزتي قد حان زمان دخولك العالم بحالة غير حالتك الحاليَّة فادخلي اليهِ باحساسات شريفة ثابتة مقاومة لكل الشرور والاضرار التي ربما تتهددك وستنجين منها اذا شددت قلبك بالتقى وثقفتِ ذهنك بالاراء الحسنة الناجمة عن مطالعة الكتب المفيدة

ولا ارى شيئاً اهم واوفق وافضل من ان نحفظ شعائرنا وبحفظها نكون معتبرات في اعين الناس وذوات اميال جيدة وثقة بنوال حالة حسنة توافقنا كل حياتنا وتكفل لنا القيام بواجباتنا باجتهاد ومحبة وتصون حياتنا من الشر الذاتي وتجتذب قلوب الاخرين نحونا بحب واخلاص وسلامة نية

المصائب كثيرة وعندما نصاب بواحدة منها يجب ان نصبر لها ونقول انها قضاء من العليم الحكيم ونبقى على فضيلتنا اذ بالفضيلة التغلب على المكروه وقال احد القدماء ضروري للانسان ان يتسربل بفضيلتهِ في كل حال وانا اقول لكِ ان تتسربلي دائماً بالتقى لتنجم عنهُ فضيلتك اذ التقى غاية العلم وبنت التقى الفضيلة

النساء اللواتي لا يغذينَ عقولهن في ايام الصبا الاَّ باداب العصر المقدمة لهنَّ ويعرضن عن التقى فعندما يتقدمنَّ بالسن ولو قليلاً تزول

بهجة صبائهن ويمسين متروكات من جميع معارفهن وتركهن لا يُعدّ قساوة فحالة هولاء تُظهر كيف ان الماضي يدفعهن للاسف والحاضر للاكدار والمستقبل للمخاوف والشقاء فلو سرنَ بطرق التقى لما وجدنَ بهذه الحالة التعيسة فان التقى يدفع الشقاء ويوجد التعزية ويصالح الانسان مع خالقهِ ومع العالم ومع نفسهِ

انا عالمة بان الصبية عند دخولها العالم تكون ذات اميال وطيدة لنوال السعادة والارتقاء الى ذرى المجد والفخر فتسعى وراء امالها جاعلة مدار اعمالها اللهو وكمال الهناء فيا ابنتي هذه الآمال باطلة وما هي الاّ لهدم راحة الشابات وتكدير صافي كؤوسهنَّ اذ بها تتاصل بهن الهموم وتفتح لهنَّ سبلاً للخفة والطيش وتزعزع ثباتهنَّ وتوهن حجاب آدابهنَّ لان المسرات المعروفة غرور واوغادها شرور اذ ليس بها ما يفي حاجة النفس الابية وياتيها بسلام داخلي وراحة خارجية . ولكي تنالين المسرة الحقيقية اجعلي الفضيلة حدًا لمرغوباتك ومشتهياتك واعلمي بان مدة اقتناء المجد الظاهري والثروة غالبًا لا تطول وباقتنايهما تغرس في القلب جرثومة الشهوات ويسهل ارتكاب المنكرات وهذه احوالٌ لا تجتمع معها الراحة ولو كان ظاهرها يظهر غبطة . وفضلاً عن ذلك بالسعي وراها تزداد المطالب فتزيد النفقة ويضيع الوقت الواجب للفكر والعمل لصيانتهما فتنعكس الغاية وتكون النتيجة الانحطاط والفاقة ولا يكون لنا من ثمار وقت ما كنا سعينا وراهُ باشد الاتعاب واعظم الضحايا غير عوائد ردية منتعشة واحساسات سرور متلاشية ولنا كل يوم من الحوادث المشاكلة لما قلتهُ شواهد كثيرة ناطقة بافصح لسان . وعندي انك

قادرة ان تستغني عن هذه الاماني وتقتصري على ما عندك من المبادي التي تجلب لك ولمن يكون لهم علاقة معك سرورًا ومجدًا حقيقين . يا وحيدتي نعم ان المجد والثروة بالنساء يكون لها فائدة عظيمة اذا لم ينعشا ما يرافقهما عادة وهو الترف والبطر والكبرياء والخيلاء واذا قدر العقل ان يبقى معهما ثابتًا على كل ما يأول للحظ الحقيقي ومساعدة من يحتاجون للمساعدة . بيد ان الاخبار ارانا ضعف الاقتدار العقلي في مثل هذه الاحوال الاَّ نادرًا فلذلك من واجباتنا ان نتمسك بما هو اثمن كثيرًا من ذلك ونسعى اليه الاَّ وهو السعادة الحقيقية القائمة في القنع والزهد في زهو الحياة الباطل لان بهما سلامة النفس وراحة الضمير واداب حقة واقتدار على القيام بواجباتنا باعتناء وامانة . وبالنتيجة لا نكون نحن معاشر النساء سعيدات ما لم يكن منشاء سرورنا اعماق قلوبنا

وهذه المبادي التي اشرت بها شديدة الوطاة على الشابات وخصوصًا الحديثات السن منهنَّ ولكن مع كل قوتها ارى بانهنَّ قادرات على احتمالها لتهذيبهنَّ وراحتهنَّ المستمرة ولكن عليهنَّ لكي يغلبنَّ اميال الشبيبة ومطامعها ويفزن على ما حولهنَّ من البهارج الجاذبة ابصارهنَّ واميالهنَّ ان يجعلنَ الفضيلة مطلبهنَّ والاراء الحكمية عكاز سيرهنَّ

يعتقد البعض بوجود وهمين عظيمين مفيدين للهيئة الاجتماعية يجب الرضوخ لهما وهما الديانة والشرف . فمن يعتقدون هذا الاعتقاد هم في غرور بيّن وتيه واضح . لان الوهم رايٌ يستخدم في الحق والبطل ولكن لا تصح مطابقتهُ على الديانة والشرف حيث الاولى احق الحقائق والثاني دعامة

عظمى للمبادي الحسنة والتهذيب فالديانة مهذبٌ داخلي وخارجي معًا للجميع والشرف مقودٌ للفضيلة والناموس وكلاهما حقيقةٌ ثابتة بابين الادله واوضحها وقد علمتِ ذلك منذ الصغر وبما ان الشرف هو مهام الرجال وفخر النساء فلا شيء اوجب من كره الذين يقفون في سبيل نجاحهِ وسد ابوابِه بفتح وتكثير ابواب الدناأة ويحسب من الاعمال الخيرية الكبيرة الحث على السعي وراء الشرف ونوالِهِ وانعطاف الحاسيات عليهِ لنايه حفظ الراحة وترتيب المعيشه والقبض على ناصيه السلوك الحسن . لان السلوك الحسن لم يعرض على الانسان الاَّ لينالهُ ويهتم بهِ ويحافظ عليهِ بامانه . فاذًا ابذلي امكانك في المحافظه على هذا السلوك الواجب حفظهُ واذخري ما يعتبرهُ البعض شرفًا وهميًا ما تستطعهُ قوتكِ وكوني مع نحافتكِ ولطفكِ محافظه عليهِ الى آخر نسمة من الحياة . اكرر الوصية عليكِ بان تجعلي السلوك بحسب هذه المبادي قاعدة لكِ واعلمكِ ان لا تحسبين ان ظاهر المرأة المتقن فضيلة خالصة منتظمة بالاستعمال وان رفعة المقام في اعين الناس هي اداء جميع الواجبات المطلوبة منا . بل افتكري دائمًا كيف تكوني متبررة لدى المحكمتين المضطرة ان تقفي امامها . وهما محكمة العالم ومحكمة الضمير . ان محكمة العالم محكمة تحكم على ظاهركِ ويمكن التمويه عليها باظهار غير الحقائق . واما محكمة الضمير الواقفة على كل حقائقك فلا يمكنك ذلك لديها . لان الشهادة على صحة حشمتك وادابك وتهذيبك وتعقلك الخ . تطلب منك تأديتها . حكم محكمه العالم لنا لا يعتبر دليلاً على حسن اعمالنا ما لم يكن ضميرنا شاهد بحسنها وواثق بهِ . فيجب اذن الاجتهاد لنجعل حكم المحكمتين على حقٍ

من جهة حسن سلوكنا وصحة مبادينا · وان نكون على اجتهادٍ تام لنحفظ صيتنا لان ثلم الصيت يولد احتقار الفضائل · وعند ما تكثر مداخلتك مع العالم تتضح لك صحة كلامي ووجوب حفظهِ اكثر فاكثر

فيا ابنتي لاجل تقويم السلوك يجب مراجعه سير حياة اصحاب السيرة الرديه للوقوف على ما احاط بهم من الشقا والضر والتعاسة للاتعاظ بهِ ولتوقي التجارب التي سقطوا بها ولمعرفة ما استعملوهُ من الطرق للتخلص من شقائهم ان كان شقاؤهم نبههم الى ترك الشر واتباع سبل الرشاد والاستقامة

يا ابنتي الحياة اطوار مختلفه الاشكال متصله الحلقات ومجموعها يؤلف عمر الانسان العادي · ولكل من هذه الاطوار حالاتٌ تكمل بكما لنا وتعاب بعيوبنا · بيد ان الاطوار نفسها لا تعيب ولا تبرر بل ابن الاطوار هو الذي يعاب ويبرر بحسب سلوكه فلذلك يجب عليهِ وخصوصاً على من كان انثى منهُ ان تكون حذرةً يقظةً لئلا تزل بها القدم فتمسي تعيسة خجلة لدى محكمة ضميرها ولو كان البهرج والملذات الخارجية يحاولان من وقتٍ لآخر ان يعطياها شيئاً من التعزية الوهمية · فعلى المرأة والحالة هذه ان تكون دائماً مرتدية بجلبابٍ نقيٍ منسوج من الصفات الحسنة على انواعها ويجب عليها ان تحافظ عليهِ لتجعلهُ قوياً ونقياً ابداً · قوياً ليكون كدرعٍ لها يبعد عنها الام سهام التجارب ويحفظها سليمة منها · ونقياً ليظهر قوتهـــا وتدربها واعتنائها ومحافظتها على الفضيلة وامانتها عليها

ان من الصفات الحسنة للنساء الحياء (الخجل) ولكن الحياء المبعد للضرر والموجب حفظ الطهارة · وكما ان البسالة معتبرة عند الرجال

وسامية المقام في اعينهم كذلك يجب ان تكون الطهارة عند النساء · وقد اعطوا اعتبارًا ساميًا لاغربتا امرأة جرمانيكوس الاميرة العظيمة الرفيعة الشان وذلك لاجل طهارتها وعفافها الكامل حتى قال عنها تاسيت الشهير "ان كل عواطفها تقدست بالطافها وعفافها التام" فاذا كنت تغارين على طهارتك وتظنين في بادي الامر ان الفضيلة حملاً ثقيلاً عليك لك طريقة واحدة ثابتة لتهدي روعك وتعين ضعفك وهي ان تكوني حكيمة مهتمة بتطهير احساساتك وتنقيتها · ولكي تنالين السمو والفرح الحقيقيين الدائمين · اجتهدي ليكون سرورك من ذاتك كما قدمت لانهُ هذا هو السرور الحقيقي · واذا حصلت عليهِ توفرت فضائلك وحسناتك وصرت مكرمة حسنة الخُلق زايدة اللطف مستحسنة عند الجميع · وتظهر ثمار ذلك فيك بابتعادك عن الفخافخ وباقتصارك ان تعيشين لذاتك وتهتمي بانبساطك الداخلي · وباعتنائك بعائلتك وترتيبك اياها ترتيبًا بسيطًا مقبولاً بحسب ذوقك وتنويرك · واضعة كل شي في محلهِ · ويجب ان تكوني صبورة على عملك لتتهذبي بهِ وتهذبي افراد عائلتك · وان تكوني ذات شجاعة لتغلبي الملل وتثبتي اقدامك دائمًا في الفضيلة وتدفعي هجمات ما يقاومها · لان عدم الثبات يجعلك عديمة الفضيلة في عيني ذاتك · واذا ما حافظتي على كل ذلك كان لك رفعة مقام باستحقاق وصيت حسن في عيني نفسك واعين من معك وحولك · فبهذا نتقوم الضعفات وننسر النفس التي تحن طبعًا الى الغبطة والمجد

التعقل · وما التعقل يا عزيزي الاَّ وجوبي على الانثى لانهُ من مكملات

الطهارة والحظ والفضل · وكما تعلمين لا يكون الانسان سعيدًا ما لم يكن كامل الصفات · اذ بكمال الصفات تخمد التعاسه ويتلاشى عدم الترتيب. واذا رام الانسان البحث عن ضراء الحياة والاكدار التي تلحق المعيشه لا يجد لذلك من سبب سوى مخالفة الفضيلة اولاً · وثانيًا عدم التعقل والتبصر في الامور وعنهما ينتج عدم كمال الطهارة · واذا ما تدبرتي ذلك ظهر لك أن عاقبة الفضيلة احساسات لطيفة وسلامة للمحافظين عليها بامانة · وعلى ذلك لا تظنين بان الطهارة المجردة كافية لك ذلك لانها غير كاملة بذاتها وكثيرات هنَّ اللواتي لا يعرفن سواها وعديدات المتيقنات بان الطهاره تقوم عنهن بكل الواجبات النبيلة الاجتماعية · ولكن هذا خطاء · فان الطهاره المجردة كثيرًا ما تخرج المرأة عن طور التعقل فيما سواها وتولد في صاحبتها كبرياء وعجرفة وتمردًا · فان حنة ملكة بريتانيا كانت اميرة عظيمة وجليلة المقام ولكنها متعجرفة وقد كانت تكدر لويس الثاني عشر بعجرفتها وتتعب من سواه · وكان هذا الامير الصالح يقول في خلوتهِ يجب ان تعطى للنساء طهارتهن · فتأملي · واما انا فاقول لكِ انهُ لا تعطى للنساء طهارتهن ابدًا · فلذلك الحّ بان تتأكدي وتفتكري دائمًا بان طهارتك يجب ان تكون منكِ ولكِ وانها لا تحفظ جوهرها فيك الاَّ اذا رافقتها جميع المزايا الحسنة · فاذًا فلتكن طهارتك كاملة فيك باتباع قانون التعقل وصيانة القلب واللسان · واعلمي بان اللسان يظهر كلاًّ من حالتي الانسان الانتظامية وغير الانتظامية وهو دليل على حالتي

(البقية تأتي)

الشهامة والحب

(تابع)

قال هذا وشخص الى القصر والنار تمشي في جوانبهِ ولسان اللهيب يندلع من نوافذهِ منادياً بالويل والحرب فكان في تلك الحالة كأنهُ صنم لا حراك بهِ فتقدم اليهِ الكونت دالبون وقال لهُ — لقد التهمت الك النار قصراً ولا قصر غمدان ولكن رضى الملك عنك عوض عظيم . قال لا اكذب الله ان قلبي يتمزق اسفاً ونفسي تتلظى حزناً على دمار مهد عائلتي وعيني لا تمسك الدمعة عند نظرها الى خراب القصر الذي ولد فيهِ ابي وكان مهداً لصغري . وهو فوق ذلك ذكرى موت ذلك الرجل العظيم المركيز دي لاشارس صديق الملوك وفخر الرجال . قال خير لك ان يزول ذكرهُ وان كان مجيداً فالملك يا سيدي لا يحب ما يذكرهُ بالحروب الاهلية التي سالت فيها دماء الفرنسويين على حد المرهفات . فتنهد المركيز وقال ولماذا بعيشك يا سيدي لا يستعمل الرفق بدلاً من القسوة والعنف . أو ليس الذين نجرد في وجوههم السيف ونذيقهم الويل من عباد الله المؤمنين . فلندعهم يعبدون ربهم كما يشاؤون وهو وحدهُ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة . قال سكوتك يا سيدي اولى من هذا الكلام فانهُ يلقي عليك الشبهة والظنون . وانا ذاهب للمراقبة فلا يفلت من العصاة رجل . قال اما انا فعائد الى مونتمور فانني لا اقوى على احتمال هذا المنظر واريد ان اهيء عائلتي لهذا المصاب اذ لا بدَّ من ان يشيع الخبر واذا شئت ان نتقابل فموعدنا قصري . والان فانني استودعك الله واياه اسأل ان يغفر لكم ما تفعلون . قال ارجو منك ان تضع فؤادي بين ايدي سيدتي كريمتك وترفع اليها انني مفرغ ما بالوسع لاستئصال شافة اعداء الدين والملك فاصبح لها اهلاً

فانحنى المركيز امامهُ صامتاً وامتطى صهوة الجواد فلوى عنانهُ وسار يقطع بهِ الطرق وهو غائص في بحار الهواجس يفكر بموت ريموند فيوحي اليهِ قلبهُ ان فيليس لا ترضى بن

مدَّ يدهُ اليهِ بالشرّ . وكان كلما سار مسافة يلفت فينظر بحزن الى النار حتى صار عند منحدر التل فطرقت اذنيهِ اصوات تهليل وانتصار وطلق بنادق تدل على ان قد قضي الامر. فاطرق براسهِ الى الارض وسار حزيناً منسحق الفؤاد وقد اغرورقت عيناهُ بالدموع

هذا ما كان من امرهِ اما البروتستانت فانهم كانوا قبل ان يشعروا بالحريق يضربون اخماساً باسداس وما زالوا على تلك الحال لا يعرفون كيف تكون عقبى تلك المعركة حتى قام منهم شاب فقال : انا اضحي حياتي في الوقوف على ما يدبرون في الخارج واستأذن وخرج ولكنهُ لم يصل الى خارج الدهليز حتى انجلت لهُ الحقيقة وعلم ان النار تكتنفهم فعاد الى اخوتهِ مذعورًا ينادي بالويل والثبور . فلما علموا ذلك ادركوا سوء الموقف وعرفوا ان الموت مفاجئهم لا محالة فاستولى عليهم الصمت المرعب وكان القائد الشجاع يفكر فيما آلت اليهِ الحال وينظر الى سوء الموقف ففكر بالموت وكيف كان يلقاهُ في ساحة القتال بدون ان يهابهُ او يخشاه ثم نظر الى ما كانوا فيهِ فانجلى لهُ وجه الحقيقة وعلم ان الشجاعة لا تنفع والاسلحة لا تنجع فليس سوى الاستشهاد بالانصياع لحكم القضاء والاذعان لامر القدر . ولكنهُ رأى الاقامة بانتظار البارجين فعاودتهُ الشجاعة فقام في قومهِ ونادى بهم قائلاً :

يا قوم لقد غدر بنا الاعداء غدرًا قبيحًا لا يليق الاَّ باللئام فاضرموا في جوانب ملجأنا النار على حين كنا في انتظارهم لنبارزهم مبارزة الرجال الكرام ولا يجدر بنا الانتظار الى ان نذبح ذبح الاغنام فلنخرج في وجه الاعداء بالحسام ليعلموا اننا جنود لا نهاب الحمام ولربما يتيسر لنا الخلاص فنهرب ثم نلتئم للانتقام فاتبعوني يا قوم وتسلحوا بالشجاعة والاقدام واتكلوا على شجاعتكم ان المتكل على نفسهِ لا يضام .. افكروا بنسائكم واولادكم فيعود اليكم حب الحياة واعلموا ان الله قد وهبكم حياتكم وامركم بالمدافعة عنها فجردوا السيف وامشوا بثقة وامان ان الله معكم وهو ينظر اليكم من علو سمائهِ فهبوا بنا لقد ازفت الساعة وارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير

فصاح الجميع بصوت واحد : الله اكبر لا يتمكن العدوّ منا بسهولة ولا نبيعنه ارواحنا الاَّ غالية . واقتحموا الباب صفوفاً تتقدمهم الكهنة بالنشيد والترتيل والقائد امام الجميع مشهرٌ حسامهُ وسائر بتقدم البطل الشجاع . ولكنهم ما ادركوا عرصة القصر حتى وقفوا مذعورين وسكت الكهنة ونكس القائد سيفه فان ما قابلهم فيها لشيء تقشعر من ذكرهِ

الابدان . قابلهم لسان اللهيب واضطرام النار فكأن العرصة اتون نار او هي ابواب جهنم انفتحت لابتلاع من يخطو الى الامام خطوة واحدة . فلما رأوا ما رأوا علموا ان لا خلاص ولا مناص فجثوا جميعهم على ركبهم خاشعين مصلين

وما نريد وصف ذلك المشهد الفظيع فانهُ مشهد تتفتت لهُ الكبود وتتمزق القلوب فنكتفي بالقول ان الالفي بروتستنتي الذين لجأوا الى النصر بعد المعركة لم يسلم منهم واحد بل ذهبوا عن آخرهم فريسة النار وشهداء الاضطهاد والاستبداد وان الكونت دالبون ارتقى الى اسمى المراتب وارفع المناصب لما دبره من الحيلة الوحشية التي تشمئز منها النفوس الابية .

الفصل العاشر — الحياة بعد الموت

لما دنا المركيز دي لاشارس من قصر مونتمور رأى ساكنيه على الابواب فانهم رأوه عن بعدٍ فهبوا لاستطلاع الخبر . وكان في سكوتهِ ونظرهِ وسلامهِ ما يدل على ان وراء الاكمة ما وراءها فلم تتمكن فيليس من الصبر ولم تتمالك من نفسها ان تقدمت اليه مرتجفة وقالت لهُ : الحمد لله يا ابي على انني اراك سالمًا معافى ولكن اين ريموند اين هو فهل سلم قل لي ولا تخفِ عني . فعانق المركيز ابنتهُ صامتًا ولم يكن سمع كلامها احد سواه فلم يعطها عنهُ جوابًا . ثم التفت الى سائر عائلته وضيوفه وبرّد غليل رغبتهم بان روى لهم حادثة الحريق الفظيعة فرفعوا بابصارهم الى السماء واخذتهم الجمدة . اما فيليس فكانت مثال اليأس وصورة القنوط فلم تجد كلمة تفوه بها فسقطت على ركبتيها راكعة تبكي وتنحب . فلما رأى المركيز حالة ابنتهِ دنا منها فانهضها وخاطبها بحنوّ وشفقة وقال : قومي يا بنيتي وادخلي مخدعك حيث ألحق بك بعد حين . تصبري يا فيليس واظهري الجلد فالانظار متجهة اليكِ واذا لم تفعلي ذلك من اجلك فليكن من اجلي . ثم نادى بابنتهِ مرغريت فاخذت بذراع شقيقتها وسارت معها الى غرفتها . فلما خلى المركيز بمن بقي عاد اجابة لالحاحهم الى تفصيل الحادثة فكشف عنها القناع ومثلها للعيان تمثيلاً انفطرت لهُ القلوب فقالت مدام ديزولير : ان ما فكر بهِ الكونت دالبون لفكر جهنمي لا يحتملهُ الطبع بل يأباه كل ذي احساس بشري . ودار الحديث على هذا الموضوع وكلهم مجمعون على تجاوز الكونت حدود الانسانية . ثم نهض المركيز فاستأذن وخرج محتجًا بانهُ يطلب الراحة مما لقيه ولكنهُ لم يخرج من القاعة حتى اتجه نحو مخدع فيليس فولجهُ فلم تشعر بهِ ووجدها في مكانها صفراء

شاخصة الى السماء كأنها قطعة من صخر فاخذ بيدها وعانقها ولكنها لم تبدِ حراكاً فتلفظ باسم ريموند فأفاقت كما يفيق النائم وصاحت صيحة عظيمة وألقت نفسها بين ذراعي ابيها فقال لها : لقد جئت بابنيتي وريحانتي لاحدثك عنهُ فاوقفك بذلك على ما يتوق اليهِ فؤادكِ وانا اعدكِ بالا اخفي عنكِ شيئاً فعديني با التجلد والصبر . فشدت على يده بارتعاش وقالت : قل لي بعيشك قل لي يا ابي فانني مصغية لك . قال لقد مات موت الابطال ودافع عن نفسهِ مدافعة الرجال . قالت ومن قاتلهُ . قال : لقد خلصني من الموت وعلى يدهِ كانت نجاتي من التهلكة ولولاهُ لكنتِ الان يتيمة لا ابَ لكِ . قالت من قاتلهُ يا ابي من هو . قال ولمَ تريدين معرفتهُ وماذا يهمك منهُ . قالت لقد وعدتني بالاَّ تخفي عني شيئاً فلا تخلف وعدك . وكيف لا يحق لي ان اطالب باسم قاتلهِ وانا ارملتهُ . فلا بد لي من اسمهِ فسمِّهِ ان كنت تحبني . فخفض المركيز رأسهُ وقال بصوت ضعيف : هو الكونت دالبون . وما فاه بهذه العبارة حتى اعترى فيليس سكوت مهيب كأنما اخذتها الصاعقة فصمتت وسكت المركيز فلم يفه ببنت شفة . وابثا هكذا ساعة افاقت فيليس في خلالها من الذهول فقالت : آه وا أسفاه . نجاك من الموت ولم تمد اليهِ يداً بل تركتهُ يذبح بحسام القاسي البربري الذي لا قلب لهُ ولا شفقة . قال ان القتال كان برازاً بين نبيلين وليس من حقي ان اتداخل فيهِ ومع ذلك فان ريموند نفسهُ كان يأبى دون شك ان يراني متداخلاً بينهُ وبين خصمهِ . هذا وانني اناشدك الله يا بنية ان تصوني لسانكِ ولا تتعرضي للكونت دالبون بكلمة سوء فانتِ اعلم الناس بحرج الموقف وان ادنى كلمة تقودنا الى الوقوع تحت طائلة غضب الحكومة اذ ان دخولنا في الكثلكة حديث العهد ولا يبعدان يُرتاب باخلاصنا اذا انتصرنا لاحد البروتستانت فتبصري يافيليس واعملي بالرزانة والحكمة قالت ساصمت يا ابي على انني لا افارق هذه الغرفة مدة حدادي على من كنت اعتبره خطيباً لفؤادي واحسبهُ بعلاً لي . وبما انهُ يجب ان اخفي عن اعين الناس حداد قلبي وحزن نفسي فانني ساقوم بها هنا وفي هذه الغرفة حيث لا اضطر ان اقدم لاحد حساباً عما افعلهُ

اما المركيز فانهُ ادرك عندئذ عظم الحزن ومقدار الغم المستوليين على فؤاد ابنتهِ وعلم ما لهذا الحزن الهادئ الذي لا يرافقهُ الدمع ولا تتلوهُ الشكوى من القوة والتأثير . وكان اعلم الناس باخلاق ابنتهِ فلم يعترضها في شيء بل تركها تفعل ما يلوح لها . اما هي وكانت في تلك الساعة غارقة في بحار اليأس وسيف الحزن يقطع احشاءها وعزمت عزماً

اكيدًا لا تغيره الظروف ولا يحوّلهُ كرور الايام والسنين بالاّ ترى بعد ذلك اليوم وجه الكونت دالبون وبان ترد كل طالب ولو ادّى بها ذلك الى الهلاك. ثم قامت الى النافذة فتحتها وصوبت نظرها الى بيت نوجان الى ذلك البيت الذي طالما رأت حبيب فؤادها خارجًا منهُ يشير اليها بالسلام فرأتهُ حينئذٍ مقفرًا كئيبًا فان الذي كان ينشر فيهِ الفرح قد خرج منهُ الى حيث لا يعود وقد أُقفلت عليهِ ابواب القبر ولا من سبيل الى رؤياه والتمتع بباهي محياه فلما استولى عليها هذا الفكر همل الدمع من عينيها فبلل ردنيها ولولا انها بكت لخنقها الالم وقتلها اليأس. واخذ ابوها يعزيها ما استطاع ويسعى في تسليتها وهي لا تزداد الا كآبة ونوحًا الى ان اوصاها بالصبر والسعي وراء سلوى من مضى وراح فقالت: لا لا اسلوه ولا انساهُ بل اقيم على ودادهِ وابكيهِ حتى تنقطع انفاسي ويجمعني بهِ الموت قال: دوام حال من المحال ولا سيما في السن الذي انتِ فيهِ قالت: قلتُ لك فيما مضى واعيد الان ما قد قلتهُ من انني لا ارضى منهُ بديلاً فسامحني اذن وأموت على ولائهِ فانني اعتبر نفسي رهينة لهُ في هذه الحياة وفي الاخرى. قال: اما في الاخرى فلا لانهُ مات واأسفاهُ مصرًا على ضلالهِ. قالت: ان رحمة الله واسعة يا سيدي وكل الاديان تأمر بالرجاء وتحرّم اليأس. وارى انك تسعى بما تقول في ان تعيدني الى حب الحياة وان تبعث فيَّ آمالاً اخرى فباطلاً تسعى يا ابي فانا لا اقدر على ذلك. قال: بل تقدرين وريموند ذاتهُ يأمرك بهِ بفمي وفم امك. فلم تجب فيليس على ذلك بل حولت مجرى الحديث فقالت: اسألك فقط شيئًا واحدًا فقل لي ما فعلتم ببقاياه واين يكون لحدهُ. قال: ذهب جهدي في التفتيش عن جسدهِ باطلاً فاما ان يكون البروتستانت قد نقلوهُ او يكون مع اخوتهِ التعساء تحت الردم. فصاحت فيليس وقد لمعت اساريرها وداخلها بعض الامل والرجاء وقالت: اذا كنت لم ترهُ ميتًا فاقد الروح فيمكن ان يكون حيًا. قال: واحسرتاهُ لقد رأيتهُ خرَّ مثخنًا بالجراح مخضبًا بالدماء وقد طعنهُ خصمهُ طعنة قاضية. قالت: ان الله يحيي العظام وهي رميم فساصلي من اجل ريموند فيستجيب الله صلاتي ويعيدهُ اليَّ

قالت ذلك وجلست والآمال ملء فؤادها والرجاء يفيض من نظراتها فانها لم تكن لتطيق الفكر بان الله يحرمها من ريموند وهي تحبهُ وتهواه ولا تميل من الناس الى سواه واقامت تصلي حتى الساعة الرابعة من الليل فسمعت طرقًا على باب غرفتها فقالت: دعوني بالله فلست في حاجة الى شيء. وكانت شقيقتها بالباب فقالت: افتحي يا عزيزتي فان بالباب

رسولاً يحمل اليكِ كتاباً من الاب سيلستين وقد أُوصي بالاّ يتركه الاّ بين يديكِ . قالت : فلينتظر الى الغد قالت : لقد الحّ عليهِ الاب سيلستين بسرعة ايصال الكتاب فلذلك يطلب ان يسلمك اياه الليلة قالت : فليدخل اذن . وفتحت الباب فدخل الرسول ودفع الرسالة وقال . ان الاب المحترم ينتظر من السيدة كتاباً فاذا شاءت فاحملهُ اليهِ غداً صباحاً .

وكان الالم والحزن قد اثرًا على فيليس تأثيرًا عظيماً حتى ان شقيقتها كادت لولا تجلدها ان تبكي لما اصابها فلمحت فيليس ذلك منها فعانقتها وقالت : خذي الرسول يا أُخيتي ودعيني الان وحدي فانني لا اطيق الان عشرة احدٍ من الناس . وسأقرأ الرسالة فيما بعد . فخرجت مرغريت والرسول واقامت فيليس تنظر الى الكتاب ولا تفكر في ان تفض ختامه . وفيما هي كذلك طرق مخيلتها فكر جديد فمزقت غلاف الرسالة بلهفة واخذت تتلو ما يأتي .

« اذا خلوتِ في وحدتك فاقرأي هذا الكتاب وباركي الله . اجل باركيه وسبّحيه فان موضوع حبكِ وموضع آمالكِ لا يزال حياً ولي الرجاء الوطيد بنجاتهِ فان الله قد اختارني لهذا العمل الصالح وهو لا يرضى بان يدعهُ غير تامٍّ فتى شفيت جسدهُ ساسعى في شفاء نفسهِ . ولقد نقلتهُ الان الى دير الراهبات في نيونس وهنَّ يجهلنهُ جهلاً تاماً . وانا اوصيكِ بكتم الامر فلا تكذبي اشاعة الموت فان البحث عن البروتستانت على قدم وساق . وسأُواصلك بالاخبار ومتى قويت على مفارقتهِ بدون خطرٍ عليهِ احملها اليكِ بنفسي . اما الان فاملي وصلي واسكتي »

وما اتمت فيليس تلاوة الرسالة حتى ضمت يديها و رفعت ابصارها الى السماء وهطلت من مقلتيها دموع الفرح والاستبشار وحمدت الله وشكرتهُ على تلك النعمة الواسعة فانها كانت كلما فكرت بان ريموند حيٌّ وانهُ سيعود الى الايمان الحقيقي فيكون لها بكليتهِ وتكون لهُ طول الحياة تطير نفسها فرحاً وينفتح قلبها للحياة . ثم قامت الى النافذة ومدت في ذلك الظلام طرفها الى البيت الذي قضت معظم ايام الحياة في ترصده فرأَت في الغرفة السفلى نورًا ضعيفاً فخفق فوءادها وانقبض صدرها من حيث تدري ولا تدري فانها تصورت نوجان الحائل دون رجوع ريموند الى الكثلكة قد عاد وانهُ متى علم بان ريموند حيٌّ يسعى في اكتشافهِ وهناك الويل وهناك حبوط الآمال وانقطاع حبل الرجاء ولكنها شددت

عزائمها ووطنت نفسها على السكوت والكتمان وقالت في نفسها لندعهم يبكون ريموند حتى اليوم الذي نعيدهُ فيهِ اليهم اهلاً لودهم واعتبارهم . ثم عمدت الى منضدة هناك وكتبت الى الاب سيلستين كتاباً وجيزاً مبهم العبارة شكرتهُ فيهِ على اعتنائهِ الابوي واظهرت ما تولاها من الفرح وشملها من السرور .

ولما كان الصباح خرجت الى الكنيسة على قصد ان تعلم من امر نوجان شيئاً فسألت عنهُ فقيل لها انهُ لم يعد وان منزلهُ مقفر اذ ان الخدم فارقوهُ عند سماعهم خبر الحريق . فاوجست في الامر سرًّا لانها رأَت النور بعينها وقالت في نفسها سارقب ذلك الليلة ايضاً . وعادت الى غرفتها فلزمتها النهار بطولهِ ولم تخرج كي لا يطلع احد على سرّها او يقرأ على محياها سطور الفرح المنقوشة على صفحات قلبها . ولكن دوام الراحة امر محال فان الافكار استولت على فيليس وصارت تقيمها وتقعدها وصوّر لها الخوف على من تحب ان الجراح خطرة ولربما قتلتهُ وان الاب سيلستين اراد ان يهدي جزعها فاظهر لها بعض الامل . وما عدا ذلك فكيف يطيب لها عيش وريموند ملقى على سرير الالم وهي بعيدة عنهُ لا تأخذ عنهُ في كل ساعة خبرًا يسكن بلبالها ويهدي اضطراب بالها . أَو لم يكن من واجبها ان تكون بالقرب منهُ فتغسل جراحهُ بدموعها وتضمدها باناملها وتعتني براحتهِ اعتناء الام بالولد وتحنو عليهِ حنوّ المرضعات على الفطيم . ولكن كيف السبيل الى ذلك . واي حجة للذهاب الى نيونس والدخول الى الدير ومقابلة الجريح العزيز . غير انها ما وصلت الى هذا الحد من التبصر حتى قفزت من مكانها فرحة مستبشرة ببلوغ الارب اذ انها وجدت باباً يمكنها من كل ما كانت تتمناه من السفر ودخول الدير ومقابلة ريموند . وذلك انها ذكرت ان لمدام ديزوليير ابنتين في دير الراهبات بنيونس وانها دعتها الى زيارتها فوعدت بذلك وكانت على اهبة السفر الى الدير . فلاح لفيليس ان ترافقها محتجة باضطرارها لمقابلة الاب سيلستين فارسلت الى مدام ديزوليير ترجو منها ان تكرم بمقابلتها فاسرعت فرحة ولما دخلت عليها سألتها مسرورة عما دعاها الى استدعائها فقالت « لقد طلبتِ اليّ يا سيدتي واوصيتني مرارًا بان احسبك اخلص صديقاتي . قالت نعم وهذا ما اودهُ منكِ . قالت اذا كان ذلك فانكِ يا سيدتي قادرة على مساعدتي في امرٍ عظيم قالت تكلمي يا بنية فانا مستعدة لخدمتكِ في كل ما تريدين قالت أليس انكِ عازمة على زيارة كريمتيك في دير الراهبات بنيونس . قالت بلى وساسافر بعد اربعة ايام .

قالت بل سافري اليوم واصحبيني معكِ . فانكِ يا سيدتي تعلمينني في حالة لا بدَّ لي معها من الالتجاء الى انوار من هو لنفسي بمثابة الوالد والمدبر وقد كتب اليَّ انهُ مقيم في الدير لامر مهم فلا يمكنهُ المجيء اليَّ ولا استطيع السفر بدون مددك . فبالله لا تزيدي في يأسي برفضك رجائي . وان كان قلبك قد علم ما هو الحزن فانكِ تشعرين بالشفقة عليَّ وتمدين يد المعونة اليَّ . قالت ما كنت لارد لك طلبًا . وانني احسب نفسي سعيدة بما اقدمهُ لكِ مما من شأنهِ ان يخفف عنكِ الالم . فثقي بي وبصداقتي واعلمي انها لا تفوتك طول الحياة . وها انا ذاهبة لمحادثة امك وقبل ان يمرّ زمن نكون على الطريق فتتمكنين من الفوز بمقابلة الاب سيلستين وعساهُ ان يتوصل بارشادهِ الى منحكِ هبة الصبر ونعمة السلوان

فشكرتها فيليس واثنت عليها بما هي اهلهُ ثم خرجت مدام ديزولير وسعت لدى المركيز والمركيزة بطلب الاذن بان تصحب معها فيليس فسمحا بهِ عن طيبة خاطر رجاء ان تنجع فيها نصائح الاب سيلستين ولم تمضِ على ذلك بضع ساعات حتى امتطى الراحلون متون الجياد .

الفصل الحادي عشر — الدير

ما وصلت المسافرتان الى الدير حتى خفت رئيستهُ الى استقبالهما اما فيليس فابتدرتها بالسؤال عن الاب سيلستين وطلبت مقابلتهُ فقالت لها الرئيسة " هو في المنزل المعد للغرباء بجانب شاب جريح من النبلاء لا يفارقهُ لحظة عين . وقد اخبرناهُ بوصولك وسترينهُ عن قريب . فقالت فيليس وهي بين الرجاء والخوف " وهل هذا الشاب في خطر يا سيدتي . قالت ان الطبيب يضمن لهُ الحياة ولكنهُ يقول بان الشفاء بطيء جدًّا

وعقب ذلك دخول الاب سيلستين ولكنهُ اظهر الانذهال وعدم الرضى من مجيء فيليس وقال " ولمَ حضوركِ يا بنية لقد كان الاجدر بكِ ان تنتظري بضعة ايام حيث اتمكن من الرحيل اليك . قالت . اغتنمت فرصة مجيء السيدة لكي أراك فانني كما لا يخفاك في حاجة شديدة لمقابلتك . قال . فهيا بنا اذن الى المخدع الذي اعدوهُ لك فان الوقت ثمين ولا يسوغ لي ان اضيعهُ باطلاً . على انني لا اريد ان احرمك ما جئت تطلبينهُ عندي من التعزية والنصيحة فاتبعيني . ولما خلا لهما الجو قالت فيليس بلهفة " كيف حالهُ يا ابي وأواثق انت بنجاتهِ من جراحه . قال ذلك في علم من (البقية تأتي)